مجلة جامعة الأقصى(سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الخامس عشر،العدد الأول، ص 93-114،يونيو2011
ISSN 2070 - 3147

" رؤية ياسر عرفات للدور المصري تجاه القضية الفلسطينية "

د. عبد الناصر سرور*

الملخص

تحاول هذه الدراسة تحليل أثر محددات رؤية ياسر عرفات للدور المصري، ومن ثم استعراض سلوك ومواقف ياسر عرفات وفقاً لتغير القيادة السياسية في مصر.

وتستند الدراسة على فرضية رئيسية مفادها: أن رؤية عرفات كانت إيجابية للدور المصري في حال وجود تقارب أو تطابق في إدراك وسلوك القيادة المصرية لأهمية القضية الفلسطينية، والعكس صحيح.

ABSTRACT

Yasser Arafat's vision of the Egyptian role in the Palestinian case

The study tries to analyze the main factors influenced Arafat s vision of the Egyptian role . After that, the study introduces Arafat's attitudes and opinions regarding the change of the political leadership in Egypt .

The main assumption of the study could be summarized on the following ,if there was a convergence between the attitudes and the understanding of both Palestinian and Egyptian leadership concerning the significance of the Palestinian case. consequently ,this means that Yasser Arafat's vision is more positive and vise versa.

* قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة الاقصى– غزة – فلسطين.

المقدمة:

ترجع علاقة الرئيس ياسر عرفات بقيادة النظام السياسي المصري منذ بدايات ثورة تموز/ يوليو عام 1952. وقد اعتبرت هذه العلاقة من أطول الفترات التاريخية وأكثرها جدلاً، مقارنة بعلاقة الرؤساء العرب الآخرين بالقيادة السياسية المصرية. وهذا ما يفسر الإدراك العميق لدى ياسر عرفات لأهمية استمرارية العلاقة مع مصر وقياداتها، بغض النظر عما كان ينتابها من خلافات من حين لآخر. ويمكن أن نتعرف على الأبعاد المتعلقة بادراك (رؤية) وفهم الرئيس ياسر عرفات لدور مصر تجاه القضية الفلسطينية من خلال تحليل عينة من خطابة السياسي المتمثل بمجموعة الخطب والمواقف والأحاديث الصحفية التي أدلى بها.

وعليه، فإن أهمية دراسة وتحليل رؤية ياسر عرفات لدور ومكانة مصر تجاه القضية الفلسطينية، تكمن في محاولة الابتعاد عن الرؤية الأحادية في التحليل، لاسيما أن العديد من الدراسات تناولت شخصية ياسر عرفات بالنقد بسبب علاقته مع النظام السياسي المصري.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج السلوكي في تحليل السلوك السياسي للرئيس عرفات نظراً لتأثره بالبيئة المصرية ومحاولة التأثير فيها، علاوةً على استخدام الاقتراب الواقعي في تحليل مواقفه تجاه مصر وقيادة نظامها السياسي.

وتنطلق الدراسة من فرضية رئيسية مفادها، أن رؤية عرفات كانت ايجابية للدور المصري في حال وجود تقارب أو تطابق في إدراك وسلوك القيادة المصرية لأهمية القضية الفلسطينية، والعكس صحيح.

وقد انقسمت الدراسة إلى شقين رئيسيين، هما:

1- محددات رؤية ياسر عرفات للدور المصري تجاه القضية الفلسطينية، ويشتمل على: التنشئة السياسية لياسر عرفات، نظام القيم السياسية، مكانة مصر في المعادلة الفلسطينية والعربية.

2- تطور رؤية ياسر عرفات للدور المصري في ظل تغير قياداته السياسية، ويشتمل على مرحلة الرؤساء الثلاثة، عبد الناصر، السادات، مبارك.

أولا : محددات رؤية ياسر عرفات للدور المصري تجاه القضية الفلسطينية:

تلعب البيئة النفسية (الإدراك، القيم، المُثل، الميول، التوجهات) دوراً فاعلا في مواقف وسلوكيات القائد السياسي وخصوصا لدى قيادات العالم الثالث، وبالنسبة لياسر عرفات (كقائد ثورة ورجل حالم بدولة)، فقد أثرت في رؤيته لهذا الدور عدة محددات، هي:

1-التنشئة السياسية:

تبرز أهمية التنشئة السياسية من خلال دراسة الاتجاهات والسلوكيات السياسية للفرد والتعرف على دوافعه في النشاط السياسي، ومدى اختلاف ميوله السياسية ومشاركته في هذا النشاط، ومدى وعيه واهتماماته، والكيفية التي يكتسب من خلالها انتمائه الحزبي أو الوطني أو القومي أو الديني، والعوامل المؤثرة في هذه الانتماءات. كما تهتم التنشئة السياسية بالجذور الشخصية والجماعية للتوجهات السياسية وتقديم تفسير للقيم والسلوك. (داوسن، وآخرون، 1990: 19-20)

وهناك مجموعة من العوامل أسهمت في التنشئة السياسية لياسر عرفات، كان لها أثر فاعل في جعل مكانة ودور مصر ذات قيمة أساسية في نظامه العقائدي، وبيئته النفسية، ويمكن رصد واستعراض ذلك على النحو الآتي:

- منذ طفولته، عاش ياسر عرفات في القاهرة، وتنقّل كثيراً مع والده ما بين فلسطين ومصر، حيث تعلّم في مدارسها، وتأثر بنمط الحياة المعيشية والثقافية فيها، والتحق بجامعتها في مطلع الخمسينيات.

- قام ياسر عرفات بفرض التدريب العسكري على الطلاب الفلسطينيين في مصر في صيف عام 1951، استعداداً لمعركة طرد القوات الانجليزية من قناة السويس وقاعدتها في التل الكبير، تلك المعركة التي قادتها الحركة الوطنية المصرية عام 1951 (حسن، 2005).

- أسس في العام 1952 إتحاد الطلبة الفلسطينيين في مصر، وهي السنة نفسها التي أقدم فيها جمال عبد الناصر والضباط الأحرار على القيام بثورة 23 تموز/ يوليو (بقرادوني،2005)، وكان لهذا الاتحاد دور هام في توفير الكوادر وتبلور التجربة السياسية والثقافية لحركة فتح، وهو الذي شكل اللبنة الأولى لأول تجربة كيانية فلسطينية علنية، كما كانت أول تجربة سياسية مكنته من

الانخراط في الحياة السياسية المباشرة، وساعدته في تطوير نفسه إلي سياسي محترف، للحد الذي تم وصفه من قبل العديد" بالبراغماتي السياسي الذي أخضع الثقافة للسياسة" (يوسف، 2005).

– تعّرف مبكراً على جماعة الإخوان المسلمين في القاهرة، عبر والده الذي كان على علاقة بهم، وتشير بعض المصادر أن علاقة عرفات بالرئيس عبد الناصر ساءت في عام 1954، بسبب علاقته بالإخوان المسلمين، حيث اعتقل في العام نفسه لمدة شهرين للاشتباه بأنه يعرف أماكن الأسلحة الخاصة بالجماعة (Wallach,1989:78). واستمرت علاقته بهم حتى أواخر الخمسينيات، وكانت هذه العلاقة بمثابة أول تأثر لياسر عرفات في مجال التنشئة والثقافة السياسية، مؤكداً في الوقت نفسه أنه لم يكن معنياً بتعاليمهم، باستثناء دعوتهم للجهاد وحمل السلاح، فاستفاد منهم في مجالي، التدريب العسكري والتزود بالسلاح، ولكنه رفض الانضمام إليهم (Kiernan,1976:180).

– انخرط في الحياة السياسية والعامة في مصر، وكان له علاقة بالقوميين واليساريين والماركسيين والإسلاميين، لذلك اتسمت شخصيته بطابع الليبرالية السياسية.

2–القيم السياسية:

يقصد بنظام القيم السياسية، مجموعة المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها القائد أو المجتمع ونمط العلاقة بينها، وقد كانت القيمة المحورية لدى ياسر عرفات هي، مترادفات الكرامة والحرية والعروبة والتحرير والتضامن والكبرياء.

ولقد كانت "قيمة العروبة والتضامن العربي" من القيم الرئيسية في نظام ياسر عرفات والتي كانت تشمل قيم مكافحة إسرائيل وتحرير فلسطين. وكان ياسر عرفات قد جعل محور مفهومه لدور مصر هو تحقيق عزتها وقوتها وطرد المستعمرين عن أراضيها، وتخليصها من الارتباطات الأجنبية، وقيود اتفاقية كامب ديفيد، وإعادة مكانتها المرموقة كدولة "القائد" في النظام العربي.

لذا، كان ياسر عرفات يؤمن بوجود ارتباط مصيري بين تحقيق هذه القيم في مصر، من أجل تحقيقها في فلسطين وبقية الأقطار العربية وهو ما أكده بقوله: "إن العمل العربي المنطلق على أرضية الالتزام في مواجهة العدوان الصهيوني وما يجسده من أخطار ضد أمتنا العربية، يشكل عمقاً رئيسياً للكفاح الوطني الذي يخوضه شعبنا في كل الساحات" (عرفات،1988).

وقال أيضا: "إذا كان التمزق والتردي المفروضان على منطقتنا العربية يفتحان الأبواب أمام التأثيرات السلبية الخارجية ومواصلة قوى المؤامرة لتحقيق أهدافها المدمرة على صعيد منطقتنا بأسرها، فإن منظمة التحرير عملت ما تستطيع من أجل تحقيق التضامن على مستويات العمل العربي المشترك كافة" (عرفات، 1986).

3-مكانة مصر في المعادلة الفلسطينية والعربية:

أدرك ياسر عرفات طبيعة الأدوار التي يمكن أن تقوم بها مصر على الصعيدين، الفلسطيني والعربي، وهي:

- **الدور القيادي:** بناء على رؤية عرفات، يقوم هذا الدور على اعتبارين، أولهما: أن مصر هي محور التفاعلات في الوطن العربي. وثانيهما، أن مصر تملك إمكانات القيادة في الوطن العربي، وهو ما عبّر عنه في سياق حديثه عن محاولة التدخل السوري في القرار الفلسطيني، قائلاً: "إن النظام السوري استفرد بالثورة وكال لها الضربات بسبب غياب مصر" (عرفات، 1988).
- **الدور الدفاعي والتحريري:** تدور رؤية ياسر عرفات لهذا الدور باعتبار مصر أكبر دولة عربية فاعلة، وأن قيام القوى الاستعمارية بإنشاء دولة إسرائيل جاء من أجل فصل المشرق العربي عن مغربه، ومنع قيام الوحدة العربية، ومن هذا المنطلق بدأ التطلع نحو دور مصر المنشود في تحرير فلسطين.
- **الدور التوحيدي:** يلاحظ على مفهوم عرفات للوحدة العربية، أنه ركّز على ضرورة تحقيق هذه الوحدة من خلال مواجهة التحديات الخارجية وقيام العرب بدور فاعل في النظام الدولي ومن أقواله: "إن أمتنا العربية مستهدفة بمؤامرة كبرى متشعبة ومستمرة، هدفها تمزيق الأمة وفرض واقع التجزئة والبلقنة عليها" (الحسن، 2005).

ثانيا: تطور رؤية ياسر عرفات للدور المصري في ظل تغير قيادته السياسية.

يقصد بمفهوم الدور القومي، هو مفهوم صانعي السياسة لماهية القرارات والالتزامات والقواعد والأفعال المناسبة، والوظائف التي يجب عليهم القيام بها في عدد من الأطر الجغرافية والموضوعية (Holsti,1972:122)، وأهم أنماط الدور هي: القيادة والدفاع، والتحرير، والتوحيد، والتوفيق.

أما فيما يتعلق برؤية ياسر عرفات لدور ومكانة مصر تجاه القضية الفلسطينية، فهي لم تخضع لقوالب نظرية أو فكرية جامدة، إنما تطورت تدريجياً وفقاً لتطور خبرته الشخصية المستمدة من طريقته في التعامل مع المستجدات والمعطيات المختلفة، وللمراحل التي تعرضت لها مصر، وانعكاس ذلك على طبيعة هذا الدور.

لذلك، فإن رؤية ياسر عرفات لدور مصر تأثرت بطبيعة التطورات والتحولات في مصر والإقليم، وبتغير القيادة السياسية في مصر أيضا، لذلك سيتم استعراض ورصد وتحليل رؤية ياسر عرفات للدور المصري في ضوء تطور المراحل الثلاث (مرحلة عبد الناصر، السادات، مبارك)

1- مرحلة الرئيس عبد الناصر:

إن المشروع الصهيوني المتمثل بنشأة دولة يهودية لم يشكل خطراً على الأرض الفلسطينية فحسب، بل على مصر والعالم العربي أيضاً. لذا، فإن ذلك أسهم في إنشاء أرضية مشتركة التقت فيها الأهداف والمصالح المصرية والعربية والفلسطينية.

وعليه، فمن الطبيعي أن تدرك مصر مخاطر هذا المشروع، لأن قيام دولة يهودية على حدودها الشرقية، وارتباط هذه الدولة ارتباطاً عضوياً بالقوى المهيمنة في النظام الدولي، شكّل خطراً على أمنها واستقلالها الوطني، في حين كانت هذه الدولة (اسرائيل) خطراً على فلسطين، من حيث الوجود ذاته وعلى المصير والأرض والهوية.

ولكن، ثمة حقيقة مفادها: أن الصراع الفلسطيني مع المشروع الصهيوني شكّل "مباراة صفرية" بمعنى أن أي مكسب لأحد الطرفين يعتبر خسارة صافية بالنسبة إلى الطرف الآخر، أما بالنسبة إلى مصر، فكان الصراع المصري- الصهيوني ليس بالضرورة من نوع المباريات الصفرية فكان من الممكن (نظرياً) على الأقل، تصور إمكان التوصل إلي تسوية ما (نافعة، 1997).

عموما، حتى حرب سنة 1948، كانت الأهداف والمصالح المصرية والفلسطينية، ولاسيما بعد اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى سنة 1936، تتجه نحو التلاقي إلى حد التطابق الكامل من أجل تحقيق هذا الهدف المشترك، وهو الحيلولة بكل الوسائل الممكنة دون قيام دولة يهودية في فلسطين، ومن أجل، تحقيق هذا الهدف شاركت قوات مصر الشعبية "المتطوعين" في جيش الإنقاذ، ثم شاركت قوات مصر "الرسمية" من خلال الجيش المصري في حرب سنة 1948.

وخلال عقد الخمسينيات، تبنت القيادة السياسية المصرية شعار "الوحدة العربية" على اعتبارها السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، انطلاقاً من حساباتها كدولة لها التزاماتها بالقوانين الدولية، واعتبارات مرحلة البناء ومواجهة القوى والتحديات الداخلية. لذلك، فقد أحدث هذا النهج خلافاً مع رؤية القيادة الفلسطينية حول آليات المواجهة والتحرير، حينها رفع ياسر عرفات شعار "تحرير فلسطين" هو الطريق إلي الوحدة، وشعار "الكفاح المسلح" وتوريط الدول العربية في حرب لا يريدون خوضها.

انطلاقاً من ذلك أخذ عرفات يدعو منذ أواخر الخمسينيات في نشرة "فلسطيننا" التي أنشأها كأداة إعلامية لحركة فتح، إلي استرداد الضفة الغربية من الأردن وقطاع غزة من مصر، لإقامة حكومة فلسطينية تقوم بمهمتين، هما: الأولى، استعادة الهوية الفلسطينية، وذلك بمنح جواز سفر للفلسطينيين بدلاً من وثيقة السفر، ورعاية مصالح الفلسطينيين داخل البلاد العربية، أما الثانية فتتمثل في الكيان الثوري الذي يحقق انطلاق الثورة (الشعيبي، 1979: 119).

بعد هزيمة عام 1967، قرر عبد الناصر إعادة بناء الجيش المصري، ورفع شعار "ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"، وتقرب من حركات المقاومة الفلسطينية لكي يستند عليها كقوة تناكف الجيش الإسرائيلي، وبغرض تخفيف الضغط على الجبهة المصرية، قام عبد الناصر بتقديم الدعم للمقاومة الفلسطينية بهدف رفع كفاءتها العسكرية، كما قام بمدها بصورايخ الكاتيوشا وتقديم الخطط للفدائيين الفلسطينيين لتنفيذ عمليات نوعية في العمق الإسرائيلي، وتم الاتفاق مع حركة فتح، على أن تقوم الحركة بتبني العمليات العسكرية، وكان من أبرزها، المشاركة في نسف سفينة إسرائيلية حربية كانت راسية في ميناء إيلات (العقبة). ولرفع معنوية المقاومة الفلسطينية من جانب، وتدعيم الشرعية الثورية لنظامه السياسي من جانب آخر، أطلق عبد الناصر الشعار القائل: "إن حركة المقاومة الفلسطينية بعد عام 1967 هي أنبل ظاهرة عربية" (الحسن، 2005).

ولقد جرى أول لقاء بين الرئيس عبد الناصر وعرفات في شهر تموز/يوليو 1967، حيث استقبله عبد الناصر وهو يقول: "أهلاً ياسر أهلاً ياسر، لقد فهمتكم، ألا تستطيعون إشعال حرائق في الداخل إلى أن نعيد ترتيب وضع القوات على قناة السويس وفي الجولان"، فرد عليه ياسر عرفات: "إنني سأدخل شخصياً إلى الداخل وسأشعل ثورة الحرائق ولكنني أريد منكم الاعتراف بحركة فتح ومدنا بالسلاح وتدريب مقاتلينا" (الحسن، 2000: 302).

وفي منتصف عام 1968 قام عبد الناصر بتقديم عرض على حركة فتح بأن تتولى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية من أجل إكسابها الشرعية العربية، وجاء هذا العرض رداً على السلوك الانفرادي الذي مارسه أحمد الشقيري .كان هذا التحول يتلخص عربيا ومصريا بشعار "إزالة أثار العدوان"، أما شعار حركة فتح فكان" شعار التحرير".

وفي تطور آخر لمسيرة العلاقات المصرية الفلسطينية، تمثل في قبول عبد الناصر قرار مجلس الأمن الدولي (242)، طارحاً في نفس الوقت منهجاً تبريراً حينما قال: "من حق الدول العربية أن تقبل القرار 242، ومن حق الثورة الفلسطينية أن ترفضه" (الحسن، 2005).

لذا، كان القبول بالقرار رقم (242)، بداية الخلاف والتوتر العلني بين مصر ومنظمة التحرير، غير أن استمرار الرئيس عبد الناصر في رفع شعار "ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"، واندلاع حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية، وازدياد عمليات المقاومة الفلسطينية المسلحة، كان ذلك من العوامل التي أسهمت في احتواء الخلاف وتحجيمه، والالتفاف نحو متطلبات النضال المسلح ضد الخطر المشترك.

لكن، نتيجة قبول عبد الناصر بمبادرة روجرز، ووقف إطلاق النار على الجبهة المصرية عام 1970 أدى ذلك مجدداً إلى نشوب الخلاف بين القيادة المصرية وقيادة منظمة التحرير وبروز تباين واضح حول آلية إدارة الصراع وليس حول الأهداف نفسها. بمعنى آخر، كان هدف عبد الناصر من قبوله بوقف إطلاق النار إتاحة الفرصة لبناء حائط الصواريخ الضروري لصد الغارات الإسرائيلية على العمق المصري، إلا أن منظمة التحرير لم تكن قادرة على تفهم طبيعة المصالح المصرية في تلك المرحلة، فصعّدت هجومها العلني على عبد الناصر، وحدث ذلك عندما اعتقدت منظمة التحرير أنها تمثل طليعة الثورة العربية، وأن في استطاعتها تحريك الشارع العربي حتى لو أدي ذلك إلى تجاوز زعامة عبد الناصر نفسه، فلم تتردد بالتالي في دخول صراع علني معه، مما أدى إلى حدوث أزمة حادة في العلاقات المصرية– الفلسطينية نجم عنها قيام مصر بإغلاق إذاعة فلسطين من القاهرة (نافعة، 1997).

إضافةً إلى ذلك، لم يتوقف رفض ياسر عرفات لمبادرة روجرز عند حدود التصريحات فقط، إنما قام بجهد ديبلوماسي ونشاط سياسي مكثف لبلورة موقف عربي جماعي رافض، ومن أجل هذا الغرض أرسل الوفود إلى الدول العربية لشرح الموقف الفلسطيني (الكتاب السنوي،1971: 18).

لم تكن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية قادرة على تفهم وضع مصر الخاص في ظل ظروف حرب الاستنزاف، وغلّبت الاعتبارات الأيديولوجية على الاعتبارات السياسية، واعتقدت بعض الفصائل أن في استطاعتها تزّعم القيادة بدلاً من مصر وعبد الناصر في العالم العربي، مستغلة مكانة القضية الفلسطينية وقدرتها التعبوية عند الشعوب العربية، ومتجاهلة بذلك واقع موازين القوى في النظام العربي .

علي أية حال، إن مواقف قيادة منظمة التحرير تجاه عبد الناصر لم تمنعه من التدخل ووقف الاشتباكات المسلحة بين قوات منظمة التحرير والجيش اللبناني في منطقة الجنوب والتي وصلت ذروتها عام 1969، حيث تم توقيع اتفاق القاهرة بين منظمة التحرير والجيش اللبناني بتاريخ 13تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1969 برعاية الرئيس جمال عبد الناصر (أبو فخر، 2005)، وكذلك تدخله لوقف الإشتباكات المسلحة والحرب الدموية بين قوات الثورة الفلسطينية والجيش الأردني في أيلول/ سبتمبر عام 1970، وبفضل جهوده أقر الملوك والرؤساء العرب وبحضور الملك حسين وياسر عرفات اتفاقية القاهرة في 27 سبتمبر/ أيلول 1970 والتي نصت على إنهاء كافة العمليات العسكرية بين الطرفين (الوثائق الفلسطينية، 1970: 856–857). وكان هذا أخر عمل قام به عبد الناصر قبل رحيله في 28 أيلول/ سبتمبر في السنة نفسها.

عموماً، إن الخلاف بين ياسر عرفات والقيادة المصرية، كلن نتيجة للاختلاف في أسلوب إدارة الصراع مع إسرائيل، أما مركزية القضية الفلسطينية في الوجدان الناصري، فإنها لم تكن إطلاقا مجال شك لدى ادارك ياسر عرفات، ومما يدلل على ذلك أنه منذ مطلع السبعينيات، وفي مرحلة نضوج الفكر السياسي الفلسطيني، استند ياسر عرفات على الإرث والمصداقية للرئيس جمال عبد الناصر، ولكن الإشكالية تكمن في، أن ياسر عرفات احتفظ خلال مسيرة حياته السياسية بشخصية مزدوجة: هي شخصية البراغماتي الواقعي المرن، وشخصية الثائر المبدئي، وكثيراً ما اصطدمت الشخصيتان في محطات العلاقة مع مصر خلال الحقبة الناصرية وما تلاها (يوسف، 2005).

هذا، وقد أجمع العديد من المختصين بالشأن السياسي، بأن النظرة العدائية التي اتسمت بها السياسات الأمريكية المتتالية تجاه القضية الفلسطينية وقائد مسيرتها، مردها بالدرجة الأولى

انتساب ياسر عرفات إلى مدرسة راديكالية ثورية أسسها وقادها جمال عبد الناصر(ميخائيل، 1996: 333).

2- مرحلة الرئيس السادات:

برحيل الرئيس جمال عبد الناصر وتولي الرئيس محمد أنور السادات مقاليد الحكم، استمرت العلاقات بين ياسر عرفات ومصر، بالرغم من الشكوك التي ثارت (عربياً)- في السنوات الأولى- بحق البعد القومي لدى سياسة الرئيس السادات، إلا أن ياسر عرفات كان على قناعة وإيمان بدور مصر ومكانتها بالنسبة للقضية الفلسطينية، مما كان له أثر ايجابي في تدخل مصر لإنهاء الأزمة في العلاقات الفلسطينية- الأردنية في شباط/ فبراير عام 1971. كما احتضنت القاهرة انعقاد المجلس الوطني في دورته التاسعة في تموز/يوليو 1971، ودورته العاشرة (الاستثنائية) في نيسان/إبريل 1972(راشد،1975: 35). ثم توثقت العلاقات الفلسطينية- المصرية أثناء حرب تشرين الأول/ أكتوبر 1973 من خلال مشاركة فصائل الثورة الفلسطينية فيها، ومن ثم في مؤتمر القمة العربية الذي انعقد في الرباط عام 1974، والذي اعترف بتمثيل منظمة التحرير للشعب الفلسطيني (أبو طالب، 2005).

ولكن، نظرا للاختلاف بين رؤيتي القيادتين: المصرية والفلسطينية لوسائل إدارة الصراع مع إسرائيل، فقد أدى ذلك إلى تراجع في العلاقات بينهما على نحو متزايد. وخصوصاً بعد انتهاء حرب عام 1973، وقبول كل من مصر وسوريا للقرار الدولي (338). فقيادة منظمة التحرير شعرت بأن الحكومات العربية عادت لسياسة الاحتواء ومحاولات توجيه حركة المقاومة الفلسطينية نحو التسويات السلمية، وفرض وصاية على الثورة الفلسطينية، لذلك بادرت فصائل المقاومة إلى عقد المجلس المركزي في الجزائر في تشرين الثاني/نوفمبر 1973، وقد قرر المجلس ما يلي: (عبد الرحمن، وآخرون، 1987: 221)

- التمسك بالحق التاريخي للشعب الفلسطيني في تحرير كامل التراب الفلسطيني.
- عدم عودة الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الحكم الأردني.
- ضمان حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير.

وفي السياق ذاته أدرك ياسر عرفات أيضا، بأن ثمة تحولاً واضحاً في موقف السادات، وتخليه عن الأفق السياسي الناصري الذي تجسد حول شعار "القدس قبل سيناء"، خصوصاً، بعد أن عرض عليه هنري كيسنجر قائلاً: "إن السوفيت بإمكانهم أن يعطوك السلاح، وهذا يعني

الحرب. ولكن الولايات المتحدة فقط يمكن أن ترجع لك الأراضي المصرية المحتلة، وهذا يعني السلام" (Heikal,1978).

ثم تباعدت السبل بعد قرار السادات زيارة القدس سنة 1977، وخصوصاً أن الرئيس السادات في خطابه الذي ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلي في العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1977 لم يتطرق لمنظمة التحرير الفلسطينية، واكتفى بقوله: "إن الفلسطينيين يتعطشون لوطن خاص بهم". حينها رأت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية أنها فقدت حليفتها وحاميتها الكبرى في الأزمات، لذلك توجهت إلى سوريا، وأصدر عرفات والأسد بياناً مشتركاً تحدثا فيه عن رفضهما لخطوة الرئيس السادات (Gowers,& Walker,1991:178).

وعلى الرغم من ذلك، لم يقطع ياسر عرفات قنواته السرية مع القيادة المصرية، وقبل توقيع الرئيس السادات على اتفاق كامب ديفيد، بعث عرفات في حزيران/ يونيو 1978 برسالته إلى السادات يرجوه فيها بأن لا يتسرع في عقد اتفاق ثنائي مع إسرائيل، قائلاً له: "لا تنسى القدس، لا تنسى شعبي الذي يضحي بحياته كل يوم، أنت ما زلت قادراً على الإصرار للحصول على ضمانات أقوى" (Gowers,& Walker,1991:178). كما حاول عرفات إقناع السادات بالتمهل قائلاً: "إن الثورة الإيرانية على الأبواب، ويمكن بعد حدوثها زيادة المطالب السياسية" (الحسن، 2000: 323).

ولكن نتيجة تصميم السادات على عقد اتفاق صلح منفرد مع إسرائيل عام 1979، أثار هذا القرار ردود فعل فلسطينية أفضت بدورها إلى انضمام منظمة التحرير إلى "جبهة الصمود والتصدي"، ومقاطعة مصر رسمياً، والمشاركة في محاولات فرض العزلة عليها عربياً وإسلامياً ودولياً. والدوافع والاعتبارات التي أدت إلى أن ينتهج ياسر عرفات هذا السلوك، مراهنته على المعارضة المصرية، وموقع القضية الفلسطينية في الوجدان المصري والعربي عامة، ورهانه على الدعمين: العربي والسوفييتي. ولكن ما هي طبيعة المواقف المصرية والفلسطينية المتبادلة منذ كامب ديفيد حتى رحيل الرئيس السادات؟

– **على الصعيد المصري:** ساد الخطاب الإعلامي الرسمي الذي نادى بضرورة ابتعاد مصر عن العالم العربي، والمطالبة بالكف عن حمل لواء التضحيات بالنيابة عن العالم العربي. ولأول مرة في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، خرجت مظاهرات معادية للعرب وللفلسطينيين وتحديداً عقب

أحداث قبرص في عام 1978 ، ففي ظل هذه الدعوات انخفض التأييد المصري لمنظمة التحرير الفلسطينية من 55% إلى 18% (سعيد، 1986، 109)، حيث لعب بعض الكتاب والأدباء دوراً في تعميق هوة الخلاف بين مصر وعالمها العربي، للحد الذي تجرأ البعض منهم بالقول: "أن الامتداد الطبيعي والتاريخي للحضارة المصرية هي الحضارة اليونانية". أمثال، أنيس منصور، وتوفيق الحكيم، ولويس عوض (سرور، 1998: 90-91).

- من المواقف التي عكست حالة التباعد في الرؤى السياسية المتعلقة بإدارة الصراع العربي الإسرائيلي، المبادرة التي طرحها الرئيس السادات في نيسان/ أبريل عام 1981 والمتضمنة تشكيل حكومة فلسطينية في المنفى، وقد علّق عرفات بقوله: "إن الرئيس السادات يدرك الآن أنه في طريق مسدود، وعليه ألا يُملي علينا ما يجب أن يفعله... سوف نتخذ قراراً في شأن تشكيل مثل هذه الحكومة حين يكون ذلك في مصلحة الشعب الفلسطيني" (مجلة شؤون فلسطينية، 1981).

أما على صعيد القيادة الفلسطينية، ومواقفها من كامب ديفيد وأثارها، فيمكن طرح أمثلة على ذلك:

- عبّر ياسر عرفات عن رؤيته لكامب ديفيد في كلمة وجهها في الذكرى الرابع عشرة لانطلاق الثورة الفلسطينية بالقول: "وهنا لابد أن تنطلق صيحتنا، لكي يسمعها العالم أجمع، وبالذات الأحصنة الخشبية التي تجر عربة كامب ديفيد، وأنني أطلقها باسم شعبنا وثورته، وباسم جماهير أمتنا العربية وشرفائها، وباسم الأحرار والشرفاء في العالم أجمع، أنه لا سلام ولا أمن ولا حل ولا استقرار في هذه المنطقة، بالقفز على جوهر المشكلة الأساسي فيها، بالقفز على حقوق شعبنا الفلسطيني الوطنية الثابتة، بما فيها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته الوطنية المستقلة فوق ترابه الوطني، تحت قيادته الوحيدة منظمة التحرير الفلسطينية، والتي إعُترف بها على كافة المستويات الصديقة والحليفة والعربية والدولية" (عرفات، 1979).

- في سؤال عن الخيارات التي تركتها كامب ديفيد أجاب ياسر عرفات: "يجب أن نعترف بأن كامب ديفيد قضت على جنيف، وأعطت القرار (242) صيغة جديدة متغيرة إلى الأسوأ ... الكل يعرف مساوئ كامب ديفيد من إضفاء الشرعية على الاحتلال الإسرائيلي، إلي تهويد القدس، إلى إعادة سيناء منقوصة السيادة، إلى التدخل في السيادة المصرية.. " (الكتاب السنوي:1971، 18).

- أدت زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل في 19 تشرين ثاني/ نوفمبر1977، إلى تداعيات خطيرة على القضية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية، ومن أبرز تلك التداعيات: إبقاء

منظمة التحرير والثورة الفسطينية وحيدة في مواجهة إسرائيل ومخططاتها، وخروج مصر وتحييدها، واخراجها من معادلة الصراع، وتحول دورها إلى دور الوسيط الذي تم تجريده من كل أسلحة وأدوات القوة التي كانت تتمتع بها، كما أن اتفاقية السلام المصرية– الإسرائيلية عام 1979، أسقطت الرهان الفلسطيني على التسوية، وأدت إلى إطلاق يد إسرائيل العسكرية، وشجعها على غزو لبنان في عامي 1978، 1982.

– إن أخطر مظاهر كامب ديفيد على منظمة التحرير الفلسطينية تتمثل في الجانب الانقسامي الذي برز من خلاله مواقف بعض القوى مثل، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي حمّلت كل أطراف التسوية مسؤولية مبادرة الرئيس السادات، معتبرة أن هذه الأطراف هي التي مهدت لهذه الخطوة.

– في مناسبات عديدة كان عرفات يعبّر عن ألمه من الواقع العربي المأساوي الذي شجع الأعداء بشكل سافر لإشهار عدائه ليس فقط ضد الشعب الفلسطيني، بل ضد كل ما هو عربي، ومن الأمثلة التي ساقها عرفات، حينما قال :"إن الأوضاع العربية المتردية حفّزت الإدارة الأمريكية عام 1986 على ممارسة إرهاب الدولة"، وقال أيضاً: "ضربت ليبيا واختطفت طائرة مدنية مصرية ... ودعمت استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية في لبنان وسوريا وفلسطين، واستمرت في رفض الاعتراف بالحقوق الفلسطينية، وارتفعت بإطار التحالف الاستراتيجي مع إسرائيل واشتراكها في ما يسمى "حرب النجوم"، وهنا ربط عرفات هذا السلوك العدواني ضد الأمة العربية بأوضاع محددة على الخريطة العربية، عندما قال: "فقد جرى كل ذلك في العام 1986، بعدما غيّبت مصر إثر اتفاقيات كامب ديفيد" (عرفات، 1986). فعرفات كان يتطلع إلى كل ميزة عربية على أنها ميزة لفلسطين متأملاً في أن يتم تسخيرها في معركته التحريرية، كما كان يرى أن أيّ حالة تردي عربي تنعكس على الحالة الفلسطينية.

– نحت ياسر عرفات "عبارة الزمن العربي الردئ" دلالة على ما أصاب النظام العربي من تغيرات وانقسامات داخلية والخروج عن الثوابت، وتراجعه عن التزاماته تجاه قضية فلسطين، وفي إطار معالجته لهذه الأجواء العربية المتوترة، قام ببذل جهود كثيرة لرأب الصدع وتهدئة الأزمات الساخنة، وأحياناً كان يميل إلى طرف عربي على حساب أخر، وفقاً لتكيفاته للمصلحة الفلسطينية والعربية (الأزعر: 2005).

– قال شفيق الحوت– أحد أبرز القيادات المستقلة في منظمة التحرير والمقربة من ياسر عرفات: "أدرك ياسر عرفات، بعد خروج مصر من الاستراتيجية العربية الموحدة بتوقيع صلح منفرد مع إسرائيل الأمر الذي رسّخ القناعة بأن النضال العسكري أصبح مستحيلا في ظل الغياب المصري، فقد ازدادت حتى على المستوى الشعبي، القناعة بأن تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني أصبح موضع شك كبير، أو على الأقل أصبح مشروع أجيال مؤجلا" (خليفة، 2005).

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول إنه، منذ نهاية السبعينات تصاعدت وتيرة الخلاف في العلاقات المصرية بمنظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها، فرؤية الرئيس السادات كانت تتجسد في استكمال مشروع التفاوض مع إسرائيل للخروج من سيناء، لكن ياسر عرفات ومنظمة التحرير، كانا لهما خيارهما الآخر، خيار الصمود والتصدي، والسعي إلى إسقاط نهج كامب ديفيد، وعودة مصر مرة أخرى إلى دائرة الأزمة. ولكن ثمة حقيقة مفادها، أن خلافات السادات مع عرفات، لم تؤد بمصر"شعبياً" إلى تجاوز القضية الفلسطينية، فالرد الشعبي المصري بمقاطعة إسرائيل الذي قادته النقابات وأحزاب المعارضة ولجان المقاطعة والتفاوض، لدليلٌ واضح وقاطع على ذلك (سعيد، 1986).

ولتشخيص واقع العلاقات المصرية– الفلسطينية يقول الدكتور حسن نافعة: "تعتبر الأعوام الأربعة الأخيرة من حكم السادات أسوأ مراحل العلاقات المصرية– الفلسطينية على الإطلاق ،إذ انطلقت سلسلة من الأفعال وردات الفعل التي كانت تنم عن عدم فهم لطبيعة عملية صنع القرار وخصوصيتها لدى الطرف الآخر، أو عن مبالغة في القدرات الذاتية واستهانة بقدرات الآخر ... ومع ذلك يلاحظ أن السادات وياسر عرفات ظلا حريصين حتى النهاية على عدم قطع (شعرة معاوية)، فبقى سعيد كمال في القاهرة حلقة وصل غير رسمية بين مصر ومنظمة التحرير، على الرغم من قطع العلاقات بينهما تطبيقاً لقرارات مؤتمر بغداد سنة 1978" (نافعة، 1997).

3– مرحلة الرئيس مبارك:

التزم الرئيس حسني مبارك منذ توليه مقاليد الحكم في نهاية عام 1981، باستمرار العملية السلمية مع إسرائيل، حيث ترتكز رؤيته على أساس التعامل الواقعي مع المشكلة الفلسطينية، أي التوصل إلى تحقيق الممكن والمتاح في المدى القريب على الأقل، وهو ما يعني إقامة الدولة الفلسطينية على الأراضي التي يمكن تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي في الضفة

الغربية وقطاع غزة. أما أسلوب تحقيق ذلك فهو المفاوضات، على اعتبار أن إزالة إسرائيل في المدى المنظور يعتبر من المستحيلات، ومن ثم يجب التعامل معها كأمر واقع (أبوعامود: 1990). ومن هذا المنطلق، بدأت علاقاته بقيادة منظمة التحرير باتجاه التقارب، وإنهاء مسببات القطيعة التي حدثت في نهاية عهد السادات. فقد أسس هذا التوجه مناخاً مناسباً لدى القيادة الفلسطينية بإعادة حساباتها، وترتيب أولوياتها على الصعيد العربي الرسمي، خصوصاً في ظل مجموعة متغيرات طرأت في البيئة العربية وألقت بظلالها سلباً على مسيرة القضية الفلسطينية وتطوراتها. وبغية تشخيص هذه المتغيرات وأثرها في رؤية عرفات للدور المصري تجاه القضية الفلسطينية، **فلا بد من استعراض أبرزها على النحو الآتي:**

– أثبتت تطورات الأحداث اللآحقة أن ميزان القوى لم يكن لصالح الجبهة التي راهن عليها ياسر عرفات، فقد تراوح خطها بين النجاح والفشل والصمود والانكسار. فعلى سبيل المثال، كان في وسع المعارضة المصرية أن تغتال السادات، ولكن لم يكن في وسعها أن تستبدل نظامه بنظام أكثر راديكالية، وكان بوسع تحالفات الحركة الوطنية اللبنانية وسورية وإيران والاتحاد السوفيتي أن يجهضوا اتفاق 17 أيار/ مايو 1983 على الجبهة اللبنانية، لكن لم يكن في وسع هذا التحالف أن يحمي منظمة التحرير وقيادتها، ويحول دون خروجها من بيروت، حيث بدأ الانكشاف العربي، والسوري خاصة، والانكشاف العراقي بعد انشغاله بالحرب مع إيران منذ نهاية العام 1980.

– بعد خروج مصر من ساحة الصراع مع إسرائيل، أدرك عرفات الخسارة الكبيرة التي لحقت بالقضية الفلسطينية، وبموازين القوى العربية عموماً، وذلك لما تحتله مصر تاريخيا ووجوداً بشريا وحضارة وقوة سياسية. وبالرغم من تقاربه مع العراق إلا انه لم يترك الأمور في مصر إلا وكان يتابعها، وفي هذا السياق يقول بلال الحسن: "أبقى عرفات على خيوط اتصال مع مصر بمرور الوقت، مدركاً أن أي علاقة لا تعوض علاقته مع مصر، وغداة خروجه من بيروت في صيف 1982 راودته فكرة التعامل بقوة مع القاهرة باعتبار أنها تخلت عن ورقة كامب ديفيد الفلسطينية، وأوقفت مباحثات الحكم الذاتي" (الحسن، 2005).

– لقد أدى تغير القيادة السياسية في مصر من ناحية، وانهيار جبهة الصمود والتصدي من ناحية أخرى وخصوصا بعد خروج منظمة التحرير من بيروت، إلى نشوء أرضية جديدة لتقارب مصري– فلسطيني.

– تعّرض الثورة الفلسطينية، ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان لضربة قاسية على إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان في صيف عام 1982، وعجز النظام العربي الرسمي، بل فشل قوى جبهة الصمود والتصدي في فعل أي شي، بحيث تركت الثورة وقيادتها بلا نصير ولا ظهير. كما خسرت منظمة منظمة التحرير الفلسطينية ، إلى حد كبير، الكثير من أوراق الضغط ومنها "الأرض" التي كانت عليها والتي تتيح لها استقلالية في القرار، كما خسرت "الكفاح المسلح" الذي استخدمته لتثبيت دورها كطرف أساسي فاعل في المنطقة. لذا أبدى الرئيس عرفات انفتاحاً سياسياً، فوافق على المشروع الفرنسي–المصري الذي تقدمت به حكومتا البلدين إلى مجلس الأمن الدولي في تموز/يوليو 1982 والقاضي بدعوة الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني إلى الاعتراف المتبادل، والى إجراء مفاوضات على أساس القرار الدولي (242) (الأزعر، 1991: 30–31).

– مؤامرة الانشقاق التي تعرضت لها حركة فتح– ركيزة الثورة الفلسطينية– وتورط أحد الأطراف العربية بشكل فعلي وملموس في دعم الانشقاق، للحد الذي تعرضت فيه قوات الثورة الفلسطينية لمؤامرة التصفية في مخيمي "نهر البارد والبداوى" في لبنان– شمال طرابلس– عام 1983. لذلك أدرك ياسر عرفات بأن هذا الطرف العربي استفرد بالثورة بسبب غياب مصر (عرفات، 1988).

– رحيل عرفات (القسري) من طرابلس (لبنان) عام 1983، مما شعر بأنه لم يعد له موطئ قدم على الحدود مع فلسطين المحتلة، وبالتالي ليس أمامه غير العمل السياسي، لذلك قرر أثناء رحيله إلى اليمن أن يتوقف في الإسماعيلية، والتقى، أو (اتصل) بالرئيس حسني مبارك الذي كان يومئذ مقاطعاً عربياً، ومصر كانت حينها خارج جامعة الدول العربية (خليفة، 2005). فكانت البراغماتية والواقعية هي سر القوة الكامنة وراء أفعال وأقوال وتصرفات ياسر عرفات، ورغم إلمامه بقواعد اللعبة السياسية التي يخوضها مع خصومه، إلا أنه لا يتردد من كسر قواعد هذه اللعبة إذا شعر أن كرامته امتهنت أو تعرضت لامتحان من قبل خصومه، فياسر عرفات استطاع أن يتكيف مع المستجدات وأن يطّوع الفكر السياسي الفلسطيني نحو الواقعية السياسية، وكان يتعامل مع الواقع محاولاً فهمه وتغييره تدريجياً.

قال عرفات في تصريح لصحيفة السياسة الكويتية في 30 أيار/ مايو/ عام 1984: "إن مصر تمثل ثقلاً كبيراً للأمة العربية وأن عودة التوازن لجسم الأمة مرهون بقضيتين أساسيتين هما عودة مصر لتأخذ دورها الطبيعي على الساحة العربية، وانتهاء الحرب العراقية– الإيرانية"

– خلال عام 1985 وفي مواجهة الهجمة الأمريكية– الإسرائيلية على منظمة التحرير الفلسطينية واتهامها بالوقوف وراء الأعمال الإرهابية في العالم، قام عرفات بزيارة القاهرة في أوائل شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1985 وقام مع وفد مصري بزيارة حسني مبارك بحضور وفد فلسطيني مؤلف من ياسر عرفات وصلاح خلف، وعدد من القيادة الفلسطينية، وعقب ذلك عقد اجتماع مشترك للوفدين وخرجا بموقف مشترك، تضمن ما يلي: (أبو عفيفة، 1998: 188).

– إصرار مصري على أن الحقوق الثابتة للقضية الفلسطينية هي أساس التسوية، وأنه لا يتحقق السلام في المنطقة من دونها.

– وجود موقف مصري ثابت، بإن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني بأن لا تسوية بدونها أو استبعادها.

– هناك إتفاق مصري– فلسطيني بأن اتفاق عمان هو أساس الانطلاق نحو التسوية.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر عام 1987 أقر مؤتمر القمة العربي الطارئ في عمان استئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر حيث لعبت قيادة منظمة التحرير والعراق دوراً فاعلاً من أجل عودة مصر إلى الصف العربي، ومنذ مطلع عام 1988 أعادت أربع عشرة دولة من إحدى وعشرين دولة "في الجامعة العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر (سعيد، 1989: 109).

وبالفعل مضى عرفات إلى تحقيق رؤيته بضرورة عودة مصر إلى جسم الأمة العربية وفتح الطريق بشكل طبيعي أمامها، معتبراً أن عودتها مهمة قومية تقتضي الدعم السياسي والاقتصادي والمعنوي لها حتى تحرر نفسها من القيود التي فرضت عليها (شبيب، 1988: 96). وتمّكن من إقناع القيادات العربية (خصوصا العراق) بضرورة إنهاء المقاطعة العربية لمصر، وهذا ما تم فعلاً في عام 1989 عندما طرح الرئيس مبارك مبادرته "نقاط مبارك العشر" حول كيفية اجراء الانتخابات في المناطق الفلسطينية المحتلة (ابوعامود، 1990).

مع انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في نهاية عام 1991، عادت قوة الدفع في علاقة القيادة الفلسطينية بالقيادة المصرية إلى سابق عهدها. ويلاحظ أن التنسيق المصري الفلسطيني في مرحلة

ما بعد مدريد سار في اتجاهين متوازيين، الأول، قيام مصر بوضع خبراتها التفاوضية مع إسرائيل وما تملكه من وثائق تحت تصرف الوفد الفلسطيني في مدريد، والأخر، استمرار الجهود الرامية إلى فتح قنوات اتصال مباشر بين منظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة، ثم بين المنظمة وإسرائيل.

وتشير الكتابات التي صدرت مؤخراً، وتناولت بالتحليل الملابسات التي أدت إلى المفاوضات السرية بين منظمة التحرير وإسرائيل في "أوسلو" إلي أن مصر كانت تعلم بهذه المفاوضات، وأن عرفات أحاط الرئيس مبارك علماً بها.

تعاملت مصر مع اتفاق أوسلو بطريقة براغماتية بحتة، واعتبرته خطوة مهمة يتعين استثمار ايجابياتها ومحاولة محاصرة سلبياتها أولاً بأول، ولهذا ألقت مصر رسميا، بكل ثقلها لدعم قيادة منظمة التحرير وإنجاح الاتفاق، وشهد التنسيق المصري– الفلسطيني منذ توقيع الاتفاق ذروته للتغلب على العقبات التي اعترضت تحويل المبادئ العامة إلى اتفاق قابل للتنفيذ على الأرض، ثم لإزالة العقبات التي اعترضت عملية التنفيذ نفسها، إلى درجة أن مصر أصبحت تبدو أيضا طرفاً مسئولاً بصورة مباشرة عن تنفيذ الاتفاق لا مجرد شاهد عليه، كما حرص الرئيس مبارك على أن يرافق بنفسه ياسر عرفات في الطائرة الرئاسية إلى العريش، وهناك قام رئيس الوزراء المصري بمرافقة عرفات إلى مدخل رفح (نافعة، 1997).

وخلال الاتفاقيات السرية في أوسلو، كان ياسر عرفات على اتصال مستمر ودائم مع القيادة المصرية، واطلاعها أول بأول عن فحوى المفاوضات، هذا ما أفصح عنه الرئيس محمود عباس في لقاء معه على قناة "أوربت" المصرية، وما أكده نايف حواتمة قائلاً: "منذ البداية كانت واشنطن على معرفة بمفاوضات أوسلو عن طريق القاهرة حيث كانت هذه على اتصال بكل من عرفات ومحمود عباس" (حواتمة، 1998: 85).

ثمة مواقف عديدة، تم في ضوئها تقديم النصائح المصرية التي وجهتها القاهرة لياسر عرفات في مناسبات مختلفة، أبرزها في مفاوضات كامب ديفيد في نهاية ولاية كلينتون الثانية، حيث كانت النصيحة الأولى "أن لا أحد يستطيع أن يتنازل عن القدس"، مما كان له أثر في صمود عرفات أمام الضغوط التي مارسها كلينتون، ودينس روس، ومادلين أولبرايت من أجل الحصول على صك التنازل عن حقوق فلسطينية كبيرة. أما النصيحة الثانية، فكانت عشية مؤتمر القمة العربي في بيروت في آذار/مارس/ 2002م، ومضمونها، بقاء ياسر عرفات في رام الله، لأن

الخروج كان معناه خروج إلى الشتات، وهدم السلطة الوطنية والبدء من نقطة الصفر، فاستمرار التشاور والتنسيق، هو السمة الأبرز بين القيادة المصرية وياسر عرفات قبل مؤتمر مدريد وبعده، وقبل أوسلو وبعدها (أبوطالب، 2005).

بعد هذا الاستعراض للمحطات والمواقف المتبادلة ارتأى بعض المحللين أن مخرجات السياسة الخارجية المصرية إزاء عملية السلام العربية الإسرائيلية- ابتداء من استرجاع سيناء وطابا، وتنفيذاً لاتفاقيات كامب ديفيد عام 1978 والمعاهدة المصرية الإسرائيلية في عام 1979، وانتهاءً بآخر اتفاق فلسطيني- إسرائيلي في شرم الشيخ أوائل سبتمبر 1999 في إطار اتفاق (واي ريفر)- اتسمت بالعقلانية الواقعية، وتجنب افتعال الأزمات، وتجاوز الأزمات التي كان الإسرائيليون يسعون لإثارتها. (Gerges,2005).

بيد أنني، قد لا أتفق كثيراً مع هذا المنطق من التحليل، فواقعية القيادة المصرية يجب ألا تندرج في سياق الدور المراقب والميسر فقط، بل الواجب القومي يجب ألا يهمش، ودور مصر التاريخي، ومكانتها المركزية في العالم العربي يجب ألا تختزل. أما اضطرار ياسر عرفات للتعاطي مع هذا الواقع، فكان نتاجاً لمحدودية هذا الدور، ولربما عبّر عنه الراحل عرفات بصريح العبارة عندما حوصر في مقره برام الله ولم يتحرك أي طرف عربي لفك الحصار عنه؛ حينها قال بمرارة: "أعرف أن الحصار سوف يطول، وأنني أدفع ثمن موقفي في كامب ديفيد، ورفضي الخضوع والاستسلام للشروط الإسرائيلية المتعلقة بتوفير الأمن لإسرائيل، وحل قضايا القدس والحدود واللاجئين" (نوفل،2004).

ختاماً، يحسب لياسر عرفات أنه لم ينقطع عن متابعة المتغيرات الناجمة عن التفاعلات العربية، وعلى الساحة المصرية على وجه الخصوص، وتعامل مع هذه المتغيرات بثوابتها وتحولاتها ، بقديمها وجديدها، وخاض غمارها، حاملاً لواء واحدة من أعقد القضايا التي عرفها التاريخ المعاصر، ولقد قضى نحبه وهو يتطلع إلى هذا الدور "دور مصر المكانة والتاريخ".

الخلاصة:

بناءً على ما استعرضته الدراسة، من تحليل لرؤية ومواقف الزعيم الراحل ياسر عرفات، تبين أنه لم يكن زعيماً عقائدياً يحدد مواقفه السياسية وفق أفكار ونظريات جامدة، بل كان يميل نحو النهج البراغماتي الواقعي تارةً، والثائر المبدئي تارةً أخرى. فرؤيته لطبيعة دور

ومكانة مصر في القضية الفلسطينية إنما تطورت تدريجياً وفقاً لتطور خبراته الشخصية المستمدة من طريقته في التعامل مع المستجدات والمعطيات المختلفة، وأيضاً نتيجة المراحل التي مرت بها مصر وما صاحبها من تغير في مواقف قياداتها السياسية، وكيفية إدارتها للصراع مع إسرائيل.

المراجع العربية:

أولاً: المراجع العربية:

1. أبو طالب، حسن: 2005، عرفات ومصر...الهوى المتبادل، صامد الاقتصادي، ع140/139، كانون ثاني/يناير، 153-156.
2. أبو عامود، محمد: 1990، ادراك الرئيس مبارك للنظام العربي الاقليمي، مجلة اليقظة العربية، السنة السادسة، العدد الاول.
3. أبوعفيفة، طلال: 1998، الدبلوماسية والاستراتيجية في السياسة الفلسطينية 1897- 1997، ط 1، القدس.
4. أبو فخر، صخر: 2005، حركة فتح وتأكيد الهوية الوطنية الفلسطينية، صامد الاقتصادي، ع 41، أيار- أيلول 56-62.
5. الأزعر، محمد خالد: 1991، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، بيروت.
6. الأزعر، محمد: 2005، "رؤية ياسر عرفات للنظامين الإقليمي والدولي" وقائع المؤثر العلمي الأول، ياسر عرفات ذاكرة وطن ومسيرة شعب جامعة الأقصى 12- 14 تشرين الثاني/نوفمبر 129-156.
7. بقرادوني، كريم: 2005، "شهادة في ياسر عرفات والقضية اللبنانية"، صامد الاقتصادي، ع، 140/139، كانون ثاني/ حزيران ، 145-148.
8. حنفي، حسن: 2005، "وداعا أبا عمار"، صامد الاقتصادي، العدد 140/139، كانون ثاني/ حزيران، 149-152.
9. حواتمة، نايف: 1998 أوسلو والسلام الآخر المتوازن، ط1 ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
10. خليفة، أحمد: 2005، عرفات كقائد، "فتح" كتنظيم، ومسيرة الثورة الفلسطينية، في حوار مع شفيق الحوت، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع ، 61/60 ، خريف/ شتاء 7-24.

11. داوسن، ريتشارد، برديت كيث: 1995، التنشئة السياسية: دراسة تحليلية، ترجمة مصطفى خشيم ومحمد المغيربي، منشورات جامعة قاريوش، بنغازي.
12. راشد، احمد: 1975، مقررات المجلس الوطني الفلسطيني: 1964–1974، مركز الأبحاث، منظمة التحرير، بيروت.
13. سرور، عبد الناصر: (1998)، علاقة مصر بالولايات المتحدة الامريكية 1981–1991، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، 90–91.
14. سعيد، عبد المنعم: 1989، مصر، عشر سنوات بعد كامب ديفيد ، في كتاب، الشرق الأوسط– كامب ديفيد بعد 10 سنوات، (المحرر) وليام كوانت، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.
15. سلميان، ميخائيل: 1996، فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
16. شبيب، معين: 1988، منظمة التحرير الفلسطينية وتفاعلاتها في البيئة الرسمية العربية 1982– 1985، شرق برس، نيقوسيا.
17. عبد الرحمن، أسعد، وآخرون: 1987، منظمة التحرير الفلسطينية، جذورها، تأسيسها، مساراتها، مركز الأبحاث، منظمة التحرير، نيقوسيا.
18. عرفات، ياسر: 1979، عام الجمر والنار-عام النور والأمل، رسالة في الذكرى الرابعة عشر الانطلاقة الثورة، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 86، كانون الثاني/يناير.
19. عرفات، ياسر: (1979)، مقابلة ياسر عرفات، مجلة شؤون فلسطينية، ع 86، كانون الثاني/يناير.
20. عرفات، ياسر: 1986 رسالة ياسر عرفات في الذكرى الثانية والعشرين لانطلاقة الثورة، شؤون فلسطينية، ع 154/ 100، يناير/فبراير ، 1986، 13-10.
21. عرفات، ياسر: 1988 "ولي زمن الاستفراد السوري"، شؤون فلسطينية، العدد 186، أيلول/سبتمبر، 137–142.

22. الحسن، هاني: 2000، حركة فتح، المسيرة والجذور في كتاب: خبرات الحركة السياسية الفلسطينية في القرن العشرين، الثورة الفكرية السياسية، 2-4 حزيران/يونيه، المركز القومي للدراسات والتوثيق، 295-335.
23. الحسن، بلال: 2005، عرفات قبل مدريد ... القوانين التي حكمت مسيرته السياسية "، الدراسات الفلسطينية، ع 60 /61 ، 25-37 .
24. الشعيبي، عيسى: 1979، الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي: 1977-1947، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، قبرص.
25. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1970، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1971، (18).
26. الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1970: 1970، وثيقة رقم (803)، (856-857).
27. نافعة، حسن: 1997، العلاقة المصرية- الفلسطينية- رؤية تحليلية، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 29، 36-53.
28. نوفل، ممدوح: 2005، عرفات بعد مدريد من خنادق التطرف الى ميدان الواقعية، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 61/60.
29. مجلة شؤون فلسطينية: 1981، ع 113، أبريل، 167.
30. يوسف، أيمن:2005، البرغماتية والكارزماتية في شخصية عرفات، وقائع المؤتمر العلمي الأول "ياسر عرفات ذاكرة وطن ومسيرة شعب" جامعة الأقصى 12-14 تشرين الثاني/نوفمبر، 157-182.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

1- Gowers ,Andrew and Walker , Jony: 1991, Behind the Myth: Yasser Arfat and the Palestinian Revolution Bultler and Tanner ,London.
2- Gerges, Fawaz A: 2005, "Egyptian- Israel Relation Tun Sour", vol. 74, No. 3.
3- Heikal, Mohamed H: 1978, Egyptian Foreign Poliy, Forign Affairs, vol . 6, No4, July.
4- Kiernan ,Thomas: 1976 , Yasser Arfat:The Man and the myth, London
5- K.J .Holsti: 1972 , International Politics . Frame Work for Analysis, Prentice Holl, London.
6- Wallach , John: 1989: Arfat in the Eyes of the Beholder , london.